الإشاريات التَّداوليَّة في دعاء النُّدبَة

Pragmatic indication in the supplication of scars

م.م. تقى رحيم محمد

Tuqa Raheem Muhammad

Tuqaraheem81@gmail.com

الجامعة العراقية - كلية العلوم الإسلامية

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 5 | العدد 43
www.isscj.edu.iq

Journal of Islamic Sciences
Vol.5 | Issue 43
ISSN: 2225-9732

August 2026

الملخص

تتمثل الإشاريات بوصفها أحد الأبعاد التداولية التي تحيل إلى مرجعية خارجية في نصوص ومتون كثيرة، ولا تكاد تفارق نصًّا من النصوص، فهي شريك فاعل في تحديد وجهة الخطاب، وقد اخترت في هذه الدراسة أن أسلط الضوء على الإشاريات الموجودة في دعاء الندبة، لما لهذا الدعاء من أهميَّة بالغة، فهو من الأدعيَّة التي أشارت إلى عصر النبي محمَّد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)، وسلَّطت الضوء على النَّصِّ الذي جاء بحق الإمام علي (عليه السَّلام) ثم تطرق عصر الغيبة بإظهار الحسرة على الإمام الغائب الإمام المهدي (عجَّل الله فرجه)، لذلك تنوعت الإشاريات على الرغم من قلتها. فجاءت هذه الدراسة من مطلبين، جاء الأول بعنوان مفهوم الإشاريات؛ لبيان مفهومها والتعريف بها لغة واصطلاحًا، والمطلب الآخر: جاء بعنوان (أنواع الإشاريات) وقد تضمن هذين المطلبين الجانب الإجرائي الذي سلط الضوء على دعاء الندبة.

الكلمات المفتاحية: دعاء، دعاء الندبة، الإشاريات، التداوليَّة، الإشاريات التداولية.

Abstract:

Signals, as one of the pragmatic dimensions that refer to an external reference, are represented in many texts; it almost never departs from any of the texts, as it an active partner in determining the direction of the discourse. In this study, I chose to shed light on the indications present in the supplication of mourning because of the great importance of this supplication. It is one of the supplications that referred to the era of the Prophet Muhammad (may gad bless him and his family and grant them peace) and shed light on the text that came to confirm the right of Imam Ali (peace be upon him). Then it touched on the era of occultation by sorrow over the absence of Imam Mahdi (may god hasten his return). Therefore, the indicatives varied despite their small number, and this study based on two requirements, the first entitled the concept by defining it linguistically and terminologically, and the other requirement came under the title Types of indicatives, and it included these two procedural requirements that shed light on the scar prayer.

Keywords: supplication, scar prayer, signals, pragmatics, trading signals

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 5 | العدد 43
www.isscj.edu.iq

Journal of Islamic Sciences
Vol.5 | Issue 43
ISSN: 2225-9732

August 2026

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمَّد وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار المنتجبين ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

إنَّ موضوع هذه الدراسة (الإشاريات التَّداوليَّة في دعاء النُّدبة) جاء لفهم وجهات الخطاب المتعددة في هذا الدعاء، ومع أنَّ ما للخطاب اللغوي من مكونات تشارك في بنيته، إلَّا أن الإشاريات التي تمثل إحدى مكوناته، لا تقلُّ أهمية عن غيرها، بل يمكن فهم وجهة الخطاب، ودلالاته عن طريق الإشاريات التي تحيل إلى المرجعيات الخارجية. توجَّه لها الرسائل إذ قد يكون المتلقِّي فردًا واحدًا أو مذكَّرًا أو مؤنثًا، أو جماعة. فضلًا عن ظروف الزمان التي قد تحدها حدود معيَّنة، وقد لا تحدها حدود وتبقى ضمن حيِّز زمني معيَّن، وظروف المكان الَّتي تتعلَّق دائمًا بزمن معيَّن، أو زمن يشار له بوساطة الأفعال التي انقسمت في لغات كثيرة ومنها اللغة العربيَّة بحسب دلالتها على الزمن إلى ماضٍ ومضارعٍ وأمر.

إن من أهم الأبعاد التي عرفتها التداولية واهتمت بوظائفها ودلالاتها هو البعد الإشاري الذي يحيل إلى مرجعيَّة مقصودة، وهذه المرجعيَّة لا تقتصر على وجود الضمائر وظروف الزمان والمكان، بل تشتمل على كل ما يشير إلى دلالة شخصيَّة أو اجتماعيَّة أو زمانيَّة أو مكانيَّة. يحددها السياق ويساعد على تحديد الشيء المشار إليه.

١ - المطلب الأول:

مفهوم الإشاريَّات: الإشاريَّاتِ بالمفهوم اللُّغوي تقابِلُ، الإيماءَ، والتَّلويحَ، والإشارةَ بالرَّأي [١]. والإشَاريَّات «مصطلحٌ تقنيٌّ يُستعملُ لوصفِ إحدَى أهمِّ الأشياءِ الَّتي نَقومُ بها في أثناءِ الكلامِ، والتَّأشير: يَعني الإشارة خلال اللُّغة»[٢].

(١) يُنظرُ: لسان العرب، ابن منظور(٧١١هـ)، الحواشي لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٤١٤هـ: ٤ / ٤٣٦.

(٢) التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، كنوز المعرفة، ط١، عمان، ٢٠١٦م: ٢٧.

أمَّا معناها اللغوي فهي علامات لغويَّة تشير إلى مرجعيات غير ثابته، ولا يمكن تحديد مرجعيتها إلَّا في سياق الخطاب، فليس لها ارتباط بأي مرجع من دون وجودها في السياق (١).

تُحيلُ الإشاريات إلى خارجِ اللُّغة، فهي علامات غير منفصلة عن فعل التَّلفظ، إذ يقتضي الفعل وجود تلفُّظ من متكلِّم إلى مخاطَب، في زمانٍ ومكانٍ محدَّدَين(٢)، وهي روابط تعمل على ربط وحدات النَّص ليكون نصًّا متماسكًا منسجمًا وتحيل –أيضًا - إلى عالم خارجي، وتتحقق هذه الإحالة بوجود العنصر اللغوي والسياق الذي ينتمي إليه (٣)، والإشاريَّات لا تؤدي غرضها المنشود من دون وجود سياق معيَّن، فهي «عاجزة عن الدَّلالة إلَّا إذا كانت على صلة بموضوع تمثِّلهُ، سواء أكان هذا الموضوع واقعيًّا أم خياليًّا»(٤). فهي من حيث الدلالة لا تؤدي غرضَها اللُّغوي إلَّا إذا كانت ضِمنَ خطابٍ يتكاملُ فيهِ المعنى بترابطِ الكلمَات ضِمنَ سياقٍ معيَّن، فالإشَاريَّات تحدِّد وجِّهَةِ الخطاب(٥)، فتارةً تشير إلى مُتكلِّم حاضرٍ بواحدة من العلامات اللُّغويَّةِ الخاصة، وتارةً أخرى تشير إلى غائبٍ، أو تشير إلى مفردٍ، أو جماعةٍ، أو غيرِ ذلك.

تتمظهر وظيفة الإشارة في اهتمامها بالعَلاقة بين التَّركيبِ اللُّغويِّ والسِّياقِ الَّذي تستعمل فيه، فهي» مفهومٌ لسانيٌّ يَجمَعُ كلَّ العناصرَ اللُّغويَّة الَّتي تُحيلُ مُبَاشَرةٍ على المَقامِ، مِن حَيثُ وجودِ الذَّاتِ المُتكلِّمَة، أو الزَّمنِ، أو المَكانِ، حيثُ يُنجزُ المَلفوظُ الَّذِي يَرتبطُ بِهِ مَعنَاه»(٦)، فوَظَائف الإشاريات هي واحدة من وَظائفِ اللُّغة؛ لأنَّ الإشَارةَ جزءٌ من اللُّغة، وهي على النحو الآتي(٧):

- الوَظيفةُ الاجتماعيَّةُ: الإشاريات لها دوره تؤديه في النيابة عن الألفاظ في إيصالِ المُراد، بحسب المَقامِ الَّذي قيلت فيه، فضلًا عن المَرجعِ الَّذِي تُشيرُ إليه.

(١) يُنظرُ: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، ط١، بيروت - لبنان، ٢٠٠٤م: ٨٠.

(٢) يُنظرُ: التداولية أصولها واتجاهاتها: ٧٦.

(٣) يُنظرُ: النظريَّة البراجماتيَّة اللسانيَّة (التداوليَّة) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، محمود عكاشة، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة، ٢٠١٣م: ٨٤.

(٤) التداولية أصولها واتجاهاتها: ٧٧.

(٥) يُنظرُ: الأبعاد التداولية للإشاريات الشخصيَّة في شعر تأبط شرًا الضمائر أنموذجًا، فاطمة حميد يكوب، ومشتاق الشمري، حولية المنتدى، محور دراسات اللغة والأدب، العدد / ٥١، حزيران ٢٠٢٢م: ٦١.

(٦) تداوليَّة الإشاريات عند ابن زيدون، حنان بنت علي عسيري، مجلة كليَّة دار العلوم، العدد ١٤١، يوليو ٢٠٢٢م: ٢٣٣.

(٧) يُنظرُ: تداولية الإشاريات عند ابن زيدون: ٢٣٢ - ٢٣٤.

- الوظيفةُ التَّواصليَّة: تعمل الإشاريات على ربط الدلالة المقصودة بالإشارة متكلِّم أو متلقٍّ أو مفرد أو مثنى، أو جماعة. لتحقّق اللُّغة وظيفتها التَّواصليَّة.

- الإيجازُ والاختصارُ: تمثِّل الإشاريات القَدر اليسير فهي تحملُ الكثيرَ مِنَ الدَّلالاتِ؛ لأنَّها تُحيلُ على مراجعَ خارجيةٍ، وعادةً ما يراد بها الإيجاز بدل التكرار غير المناسب.

- الخصُوصيَّة: تعمل الإشاريات على تحديد وجهة الخطاب وخصوصيته، ولكل مرجع خُصُوصِيَّتِه الَّتي تكونُ مُنطويَة بَينَ أطرافِ التَّواصلِ.

أقرَّ بنفنيست الذاتيَّة التي تعني قدرة المتكلم على التموضع، وقد احتفى بها وعدَّها خاصِّيَّةً ملازمةً للَّغةِ، وأكَّد أنَّها تتمظهر في الخطاب على شكلِ صيغٍ، أهمَّها الإشَاريَّات والمُوجِّهات(١).

فالإشَاريَّات تُحيلُ إلى الذاتيَّة الَّتي تَتَموضَعُ خَارجَ اللُّغةِ بوساطةِ الصِّيَغِ الَّتي لا تَكونُ خارجَ نِطاقِ الملفوظِ، وهيَ عَلامَاتٍ قَابِلةٍ للتِّكرارِ وحملِ المَعانِي المُتنوعةِ وإيصالُ تِلكَ الحُمولةَ إلى المعنِيَينِ في خطابِ المُتكلِّم، بالارتكاز على الذِّكر السَّابق لهم.

أمَّا تسميتها أو اصطلاحها: فقد حظيت الإشاريات بعناية عدد كبير من العلماء، واختلفت تسميتها من عالمٍ إلى آخر، إذ أطلق عليها سيبويه مصطلح (المبهمات)(٢)، وذهب جان كوهن إلى تسميتها ب(المحدِّدات) في قوله: «ينبغي أن نتحسب إجراءً لغويًّا خاصًا يضطلع بمهمة التحديد. وهذا الإجراء الذي هو التَّحديد يكمن في إضافة كلمة أو عدَّة كلمات أخرى إلى اسم الجنس هذه الكلمات المضافة سندعوها المحدِّدات ... وهي الصِّفات المحدودة (الإشاريَّة والتَّملُّكيّة والتَّنكيريَّة والعدديَّة)»(٣)، أمَّا مصطلح الإشارة فقد كان أوَّل من أطلقه (بيرس) إذ أطلق عليها (الإشارة، أو العلامة الإشاريَّة)، وأخذت عند روسل مصطلح (الأنوية الخاصة) (٤)، وهي عند (ج. فيومين): (دليل الذَّاتية)، وعند (ن. كودمان) (الدَّليل)، واصطلح عليها (ه. رايشنباخ) (العالم الرمزي التأملي)(٥).

(١) يُنظرُ: التداولية أصولها واتجاهاتها: ٨٣.

(٢) يُنظرُ: الكتاب: ٢ / ٥ - ٨٠. والإشاريات في كتاب سيبويه، صباح عبد الهادي كاظم، مجلة كلية التربية الأساسية، المجلد ٢٣، العدد ٩٧، ٢٠١٧م: ٦.

(٣) يُنظرُ: بنية لغة الشعر، جان كوهن، ترجمة: محمد الولي ومحمد العميري، دار توبقال للنشر بالاتفاق مع دار فلاماريون، ط١، باريس، ١٩٨٦م: ١٣٢.

(٤) أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٧.

(٥) المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو ٤١.

٢ - المطلب الثاني: أنواع الإشَاريَّات:

- الإشَاريَّات الشَّخصِيَّة: (Deictic Person)

تعُد الإشاريات الشخصيَّة من الركائز الأساسية في النظرية التداولية، فهي تحدد هوية الأشخاص المشتركين في الخطاب، أو الحدث الكلامي، والأدوار التي يؤدونها، وتتمثَّل الإشَاريَّات الشَّخصِيَّة بالضَّمائرِ، وممَّا وردَ في التُّراثِ العربيِّ في الإشَاريَّات تعريف الضمير الذي يحمل دلالة تشير إلى الأشخاص كما تشير الأسماء إليهم، فهو «عبارة عن الاسم المُتضمِّن الإشَارة إلى المتكلِّم أو إلى المخاطَب أو إلى غَيرِهمَا بعد سابقِ ذكره»[١]، وهذا القول واضح الدَّلالةِ في أنَّ الضمائرَ تُشيرُ إلى مدلولاتٍ، وتربط السَّابقَ باللاحقِ، ولا يُمكنُ أن تكونَ إلَّا إلى معروفٍ سابقٍ.

وقد ذَكَرَ بنفنيست أنَّ العَلاقةَ بينَ الضَمائرِ وسياقاتِ الكلامِ وثيقةٌ، وأنَّها لا تنتمي إلى طبقةٍ واحدةٍ متجانسةٍ، فضميرُ المتكلِّمِ والمخاطَبِ يُحيلانِ إلى ذاتيٍّ ملفوظٍ ومُتفرِّدٍ، ومعنى ذلك أنَّ ضميرَ المتكلِّم واحدٌ، إلَّا أنَّه حركيٌّ يَستطيعُ أيُّ متحدثٍ أن يستعملَهُ ويطبعَهُ بسماتهِ الخاصَّةِ، وأن يحيلَهُ في خطابهِ الخاصِّ؛ كذلك الحالُ مع ضميرِ المخاطَب الَّذي لا يحيل إلى فرد بعينَه، وإنَّما تُتحدَّد دلالتُه من طريقِ السِّياقِ الكلاميِّ؛ بينما يرى أنَّ ضميرَ الغائبِ ذو طبيعةٍ موضوعيَّةٍ؛ لأنَّه لا يحيل إلى واقعة كلاميَّة معيَّنة، وكما أنَّ مرجعيات هذا النَّوع من الضَّمائر لا دلالة لها؛ لأنَّها لا تَقترنُ بسياقٍ كلاميٍّ محدَّدٍ، ولذلك يُدرجُها (بنفنيست) ضمن مَا يطلقُ عليهِ (اللا شخص)، ويَستدلُّ على ذلك في استعمالِهِ عائدًا داخليًا مثل (بيير مريض، إنه محموم)، وأحيانًا للإحالةِ على وقائعَ خارجيَّةٍ مثل: (تُمطرُ) أيّ: السَّماءُ تُمطر[٢]. ويمكن تقسيم الإشاريات الشخصيَّة على النحو الآتي:

ومن الإشاريات الشخصيَّة قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي ورد في دعاء الندبة: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها فمن أراد المدينة والحكمة فليأتها من بابها، ثمَّ قال أنت أخي ووصيي ووارثي، لحمك من لحمي ودمك من دمي وسلمك سلمي وحربك حربي»[٣].

(١) مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م: ١١٦.

(٢) يُنظر: التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام: ٧٩.

(٣) مفاتيح الجنان: ١ / ٦٣٩.

إذ تتمثَّل الإشارات الشخصية في (أنا) التي تشير إلى المتكلِّم نفسه. ويعرِّف نفسه باستعمال لفظ (مدينة) لتأتي بعد ذلك إشارات تشير إلى مؤنث غائب، إلَّا أنَّها في الحقيقة تشير إلى مذكر حاضر، هو النبي نفسه، فقوله و(عليٌّ بابها) تعني أنَّه هو باب مدينة العلم، ومدينة العلم بالعودة إلى المعنى الأصل تعني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، و(الهاء) إشارة إلى مدينة العلم، وقد تكررت هذه الإشارة في (فليأتها من بابها) وهذه الإشارات التي وردت بعد ذكر جاءت لأغراض أهمها الإيجاز، والتأكيد على المعنى الذي أراده الرسول، إذ لم يرجع إلى الأصل ليقول: من أرادني، بل قال من أرادها إشارة إلى المدينة.

ومن الإشارات التي وردت في هذا النص الضمير المنفصل (أنت) وهو شير إلى مقصود حاضر، والياء التي تشير إلى المتكلم في (أخي ووصيي ووارثي).

ثم جاء الإشارات على نحو تفيد التبعيض، وتطابق النوع، في (لحمك من لحمي ودمك من دمي)، ثم وردت لتحقق معنى يشير إلى المساواة في (وسلمك سلمي وحربك حربي).

- الإشاريات الزَّمانيَّة:

وهي كلماتٌ تَدلُّ على زمانٍ يُحدِّده السِّياقُ بالقياسِ إلى زمانِ التَّكلُّمِ، إذ هو مركز الإشارةِ الزَّمانيَّةِ في الكَلامِ، فإذا لم يُعرف زمانُ التَّكلُّم أو مركزُ الإشارةِ الزَّمانيَّةِ التبسَ الأمرُ على السَّامعِ أو القارئ[1]، وقد اتَّضَحَ لبنفنيست أنَّ دلالة الزَّمن لا تَتَحدَّد بزمنِ الفعلِ أو الظَّرفِ في حدِّ ذاتِه، وإنَّما بزمنِ التَّلفظ؛ ومعنى ذلك إنَّنا عندما نَعمدُ لظرفِ زمنٍ مثل (أمس)، فإنَّ دلالتَهُ تتحدَّد بالزَّمن الَّذي أُنتِجَ فيه المَلفوظُ، أيّ: إنَّه يَدلُّ على اليومِ الَّذي سَبَقَ إنتاجَ الملفوظِ، وبالمثل: فإنَّ (غدًا) تَدُلُّ على اليومِ الَّذِي يَلي زمنَ الحديثِ، ومِن هذا المَنظورِ يَتَّضِحُ أنَّ الزَّمن بقدرِ مَا يُمثِّلُ عُنصرًا مُلازمًا لكلِّ لغةٍ وحدثٍ لغويٍّ، بقدرِ مَا تَتَّصلُ دلالتُهُ بالخطاب والاستعمال[2].

ومن أمثلة الإشاريات الزمنية ما جاء في دعاء الندبة من أفعال ماضية تشير إلى زمن الأحداث في قوله: «اللهم لك الحمدُ على ما جرى به قضاؤك في أوليائك الذين استخلصتهم لنفسك ودينك، إذ اخترتَ لهم جزيل ما عندك من النعيم المقيم الذي لا زوال له ولا اضمحلال، بعد أن شرطت عليهم الزُّهد في درجات هذه الدنيا الدنيَّة وزخرفها وزبرجها، فشرطوا لك ذلك وعلمت منهم الوفاء به فقبلتهم وقدمت لهم الذكر العلي والثناء الجلي وأهبطت عليهم ملائكتك وكرَّمتهم

(١) يُنظرُ: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٩.

(٢) يُنظرُ: التداولية أصولها واتجاهاتها: ٨٠ - ٨١.

بوحيك ورفدتهم بعلمك وجعلتهم الذريعة إليك»[1].

فالأفعال التي وردت في هذا النص هي (جرى، استخلصتهم، اخترتَ، شرطت، فشرطوا، فقبلتهم، وقدمت، وأهبطت، وكرَّمتهم، ورفدتهم، وجعلتهم) كلها أفعال ماضية تشير بطبيعتها إلى حدوثها في الزمن الماضي، وهذه الإشارات تشارك في توجيه دلالة النَّصِّ. فالنَّصُّ موجه بدلالة إشارياته إلى مجموعة من الناس خصَّهم الله بكل هذه الصفات التي وردت غير مستقلة عن الإشاريات التي تحيل بدورها إلى مرجعيتها خارج النَّصِّ، وتؤكد بتكرارها، الذي يألفه القارئ ولا يمجُّه كتكرار الأسماء إذا تكررت من دون أي غرض بلاغي.

وفي موضع آخر وردت الإشاريات الزمانية غير محدَدة بحدود، في قوله: «وأودعته علم ما كان وما يكون إلى انقضاء خلقك»[2].

فالإشارة في هذا النص تعدُّ من الإشاريات الزمنية التي تفيد الدلالة على زمن محدود بحد البداية، إلَّا أنَّ نهايته وإن كانت حادثة إلَّا أنَّها غير معروفة ولا معيَّنة، فانقضاء الخلق مرتبط بقيام الساعة وانتهاء عالم الدنيا وهذا الأمر من الأمور التي هي من علم الغيب، لم يطلع الله عليها أحد من خلقه.

ومن الإشاريات الزمانية أيضًا الأفعال المضارعة التي تشير إلى حدوث الفعل في زمن التحدث، ومنه ما جاء في قوله: « عزيزٌ عليَّ أن أبكيك ويخذلكَ الورى، عزيزٌ عليَّ أن يجري عليك دُونهم ما جرى، هل من معينٍ فأطيلَ معهُ العويل والبكاء، هل من جزوعٍ فأساعدُ إذا خلا «[3]

فالأفعال (أبكيك، ويخذلك، يجري، فأطيل، فأساعد) كلهاً أفعال مضارع تفيد الإشارة إلى أن حدوثها في زمن القول، أو قد يراد به الدَّلالة على استمرار.

قال» فلما انقضت أيامه أقام وليهُ عليَّ بن أبي طالب صلواتك عليهما وآلهما هادياً إذ كان هو المنذر ولكلِّ قوم هاد» [4].

انقضت أيامه، إشارة زمانية تشير إلى أيام رسول الله وعمره الشريف الذي عاش فيه، وقد يكون القصد منها أيام نبوته، وسلطته الدينية التي منحها الله له. ولا شك أن هذه الإشارة تحيل إلى

(١) مفاتيح الجنان: ١ / ٥٣٧.
(٢) مفاتيح الجنان: ١ / ٦٣٨.
(٣) مفاتيح الجنان: ١ / ٦٤٢.
(٤) مفاتيح الجنان: ١ / ٦٣٩.

زمن معروف.

- الإشَارِيَّاتُ المَكانيَّة:

الإشارياتُ المكانيَّة لا تحمل دلالاتها في ذاتها، ولا يتحدد معناها إلَّا في سياق التلفظ، شأنُها في ذلك شأن الإشاريات الزمانيَّة، فهي تتسم بالخصائصِ نفسها الَّتي تَتَّسمُ بها الإشَاريَّات الزَّمانيَّة، فإذا قال قائل: (أنَا جالسٌ قربَ المنزلِ)، فظرفُ المَكانِ (قُربَ المَنزلِ) لا قيمة له إلَّا بعلاقتِه بزمن ومكان التَّلفظ، فإذا غيَّر المتكلِّم مكانَه واختار مكانًا آخر، أو ابتعد عن مكان جلوسه السَّابق، سَيُصبحُ ظرفَ المكانِ مجرَّدًا من معناه؛ لأنَّه فَقَدَ عَلاقَتَه بفعلِ التَّلفظِ[1]. فالإشارة إلى الزمان أو المكان تتعلَّق بالوجود الحقيقي بالمشار إليه وقت الإشارة نفسها، فتنتهي الإشارة إلى المكان المشار إليه عند تغيير المشير مكان تواجده، وهذا يعني أن ثمَّة علاقة بين المشير والمشار إليه، فإذا انقطعت هذه العلاقة انتهى أثر الإشارة وانتفت دلالتها.

ومما ورد في دعاء الندبة قول» وشيعتك على منابر من نور مبيضَّة وجوههم»[2].

على منابر هي إشارة إلى أماكن موصوفة؛ لأنَّها من الأشياء التي أوجدها الله في الجنة، وخصَّ بها شيعة علي (عليه السلام)، وهذه الإشارة التي دلَّت على وجود أمكنة خاصَّة في عالم آخر احتاجت إلى الوصف. وهذا القول يشير إلى ما سيكون في ذلك العالم، فهي أمكنة غير محدَّدة، وتكمن علاقتها بتحقق الوعد الإلاهي.

وقال: «إذ كانت الأرضُ للهِ يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»[3].

الأرض اسم دال على مكان، وهي في هذا الموضع دالَّة على كلِّ الأرض التي يعيش عليها بني البشر. وهذي الإشارة المكانيَّة التي وردت في الوعد الإلاهي مع دلالتها على العموم، فهي إشارة دالة على مكان واضح ومحدَّد.

أمَّا قوله: «أين الطالب بدم المقتول بكربلاء»[4]، ففيه إشارة إلى حدث وقع في كربلاء المدينة التي تقع في العراق على شط الفرات، وهو حدث تاريخي معروف قُتل فيه الإمام الحسين عليه

(١) يُنظر: التداولية أصولها واتجاهاتها: ٨١.
(٢) مفاتيح الجنان: ١ / ٦٣٩.
(٣) مفاتيح الجنان: ١ / ٦٤٠.
(٤) مفاتيح الجنان: ١ / ٦٤١.

السلام وأهل بيته وأصحابه من الناصرين لدين الله [١]. فكربلاء اسم المكان الذي وقعت في تلك الواقع، وبالإشارة إلى تلك الأرض عرف المقتول وعرف القصد، وهذا يشير إلى علاقة الإنسان بالمكان الذي قد تبقى لآلاف السنين.

أمَّا قوله «ليت شعري أين استقرت بك النوى، بل أيُّ أرضٍ تُقلُّكَ أو ثرى؟ أ برضوى أو غيرها أم ذي طوى؟!. فالتحسر في هذه الكلمات يتضمن السؤال عن الأرض، ولكن عن أي أرض، فهو مكان غير معلوم، إذ تضمَّنت الجملة إشارة إلى عنصر مكاني مجهول، يُسأل عنه، ثم يضع السائل بعض الاحتمالات، فيسأل هل الإمام (عليه السلام) برضوى، ورضوى «هو جبلٌ منيفٌ ذو شِعابٍ واودية، ورأيته من ينبع أخضر، وأخبرني، منْ طاف في شعابه: أنَّ به مياهًا كثيرةً وأشجارًا»[٢]، وذي طوى وادٍ في مكة يقال له ذي طوى [٣].

- الإشاريات الاجتماعيَّة (Social Deictics):

تحمل الإشاريات الاجتماعيَّة دلالتين، فهي تشير إلى العلاقات الاجتماعيَّة بين المتخاطبين، وهذه الدَّلالة هي الدَّلالة الأولى والرئيسة، وتشير إلى التعظيم والتبجيل في سياقات خاصَّة[٤]، والإشارة غالبا ما تستعمل لتوكيد ضمير سبق ذكره، ولغرض إثارة الاهتمام بما تمَّ تمييزهِ في الخطاب سابقًا[٥]، فضلًا عن توظيفها في النَّصِّ لتجنب التِّكرار غير المقبول، فأنتَ عندما تتحدث عن جماعة وتكرَّر إسناد الأفعال إليهم، لا يصحُّ أن تكرر ذكرهم، إلَّا لغرض أنت تريده، وإلَّا فالأفضل أن تعمل على الإشارة إليهم بعد ذكر سابق، ومما جاء في القرآنِ من إشاريات اجتماعية، قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ

(١) يُنظرُ: مقتل الطالبيين، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني (ت ٣٥٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة، (د. ط)، بيروت، (د. ت): ٩٩ وما بعدها.

(٢) المغانم المطابة في معالم طابة، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي (٨١٧هـ)، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م: ٢ / ٨١١.

(٣) يُنظرُ: أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي المكي (من علماء القرن الثالث الهجري)، دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر، ط٢، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م: ٤ / ٢٢٥.

(٤) تداولية الإشاريات في الخطاب القرآني، مقاربة تحليلية لكشف المقاصد والأبعاد، حمادي مصطفى، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بالعباس، مجلة الأثر، العدد ٢٦، سبتمبر، ٢٠١٦م: ٦٨.

(٥) يُنظرُ: التداوليات علم استعمال اللغة: ٤٤٥.

هُمْ يُوقِنُونَ﴾[1]، فالضمير (هم) ناب عن (الذين يؤمنون) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾[2]، فاسم الإشارة والضمير (هم) نابا عن (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقد تعني بعض الإشاريات ما لا يعنيه الذكر فقد يحتاج الذكر إلى تصنيف أو توصيف بحسب الانتماء أو النوع، بينما يجمعهم الذكر في إشارة واحدة بعد ذكرهم، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[3]. فالضمير (هم) المتصل، الذي ظهر في (فلهم) و(ربِّهم)، و(عليهِم)، والضمير المنفصل (هم) في (ولا هم يحزنون) أوجز القول وناب عن تكرار كلِّ الأصناف التي سبق ذكرها. فبالذكر قد ينحصر المقصود من الخطاب في حيز العدديَّة الضيِّقة، بينما تبقى بعض الإشاريات واسعة الدَّلالة، إذ تشير إلى أقوام قد تمتدُّ أعدادهم عبر الزمن ولا تتوقف وهم في دائرة المعنى الذي أشير إليهم فيه.

ومنه ما جاء في دعاء النُّدبة: «اللهم لك الحمد على ما جرى به قضاؤك في أوليائك الذين استخلصتهم لنفسك ودينك إذا اخترت لهم جزيل ما عندك من النَّعيم المقيم الَّذي لا زوال له ولا اضمحلال، وبعد أن شرطت عليهم الزُّهد في درجات هذه الدُّنيا وزخرفها وزبرجها، فشرطوا لك ذلك وعلمت منهم الوفاء به فقبلتهم وقربتهم وقدَّمت لهم الذكرَ لعليَّ والثَّناءَ الجليَّ وأهبطت عليهم الملائكة وكرمتهم بوحيك ورفدتهم بعلمك»[4].

فالضمائر المتصلة التي وردت في هذا النص في الكلمات (استخلصتهم، لهم، عليهم، فشرطوا، منهم، فقبلتهم، وقربتهم، لهم، عليهم، وكرمتهم، ورفدتهم، يمكن أن يلحظ القارئ أولًا إنَّ لهذه الرَّوابط التي تؤدي وظيفة ربط الجملة، وأنَّها يمكن أن تتصل بالأفعال في مثل (استخلصتهم) وتشير في موضعها من الجملة إلى طبيعة التأثير فتارة يقع تأثير الفعل على الضمير الذي أشار إلى جماعة، وتارة، يشير الضمير بنوعه إلى فاعلية هذه الجماعة كما في (فشرطوا).

(١) البقرة: ٤.
(٢) البينة: ٧.
(٣) البقرة: ٦٢.
(٤) مفاتيح الجنان: ١ / ٦٣٧.

وتتصل هذه الإشاريات بحروف الجر فتكون في موضع جر من حيث الإعراب، أمَّا من حيث الدَّلالة، فتكون على أحوال، مرَّة تتصل بحرف الجر اللام (لهم) للدلالة على الاستحقاق، وعلى في (عليهم)، للدلالة على الواجب، وتتصل تارة بالأفعال في مثل (استخلصتهم، فشرطوا، فقبلتهم وقربتهم، وكرمتهم، ورفدتهم)، كما أن يمكن أن تتصل بالأسماء.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ - أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي المكي (من علماء القرن الثالث الهجري)، دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر، ط٢، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢ - آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، الدكتور محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، (د. ط)، الاسكندرية – مصر، ٢٠٠٢م.

٣ - الأبعاد التداولية للإشاريات الشخصيَّة في شعر تأبط شرًا الضمائر أنموذجًا، فاطمة حميد يكوب، ومشتاق الشمري، حولية المنتدى، محور دراسات اللغة والأدب، العدد / ٥١، حزيران ٢٠٢٢م.

٤ - التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، كنوز المعرفة، ط١، عمان، ٢٠١٦م.

٥ - استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، ط١، بيروت - لبنان، ٢٠٠٤م.

٦ - المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، مكتبة الأسلم، (د. ط)، ١٩٨٦م.

٧ - تداوليَّة الإشاريات عند ابن زيدون، حنان بنت علي عسيري، مجلة كليَّة دار العلوم، العدد ١٤١، يوليو ٢٠٢٢م.

٨ - تداولية الإشاريات في الخطاب القرآني، مقاربة تحليلية لكشف المقاصد والأبعاد، حمادي مصطفى، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بالعباس، مجلة الأثر، العدد ٢٦، سبتمبر، ٢٠١٦م.

٩ - مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، تحقيق: علي آل كوثر، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميَّة، د. ط)، إيران، (د. ت).

١٠ - مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت –

لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١١ - التداوليَّات علم استعمال اللغة، (التداوليات حدود وتعريفات)، عبد السلام إسماعيل علوي، تنسيق وتقديم: حافظ اسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠١٤م.

١٢ - الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط٣، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٣ - الإشاريات في كتاب سيبويه، صباح عبد الهادي كاظم، مجلة كلية التربية الأساسية، المجلد ٢٣، العدد ٩٧، ٢٠١٧م.

١٤ - النظريَّة البراجماتيَّة اللسانيَّة (التداوليَّة) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، محمود عكاشة، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة، ٢٠١٣م.

١٥ - بنية لغة الشعر، جان كوهن، ترجمة محمد الولي ومحمد العميري، دار توبقال للنشر بالاتفاق مع دار فلاماريون، ط١، باريس، ١٩٨٦م.

١٦ - تداوليَّة الإشاريات عند ابن زيدون، حنان بنت علي عسيري، مجلة كليَّة دار العلوم، العدد ١٤١، يوليو ٢٠٢٢م.

١٧ - لسان العرب، ابن منظور(٧١١هـ)، الحواشي لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٤١٤هـ.

١٨ - مقتل الطالبيين، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني (ت ٣٥٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة، (د. ط)، بيروت، (د. ت).